البناء الحضاري من خلال المنهج النفسي نظرة مقاصدية

مراجعة مقال Subject Rview

م.م.حسناء خلف عبد الله

hasnaa.khalf1201a@cois.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد/ كلية العلوم الاسلامية

الملخص

تناول المقال المنهج النفسي للبناء الحضاري هو منهج يركز على الجانب النفسي للإنسان في بناء الحضارة، اذ يهدف إلى بناء حضارة تقوم على أسس قوية من القيم والأخلاق، وتحقق السعادة والرفاهية للإنسان، ويعتمد على فهم طبيعة الإنسان النفسية، والاعتراف باحتياجاته الأساسية، مثل الحاجة إلى الأمن والاستقرار، والحاجة إلى التقدير والاحترام.

ساهم هذا المقال في تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، مثل حفظ الدين وحفظ النفس. أوصى المقال بضرورة استخدام المنهج النفسي للبناء الحضاري في التعليم والتثقيف، والتنشئة الاجتماعية، لتحقيق ا لأهداف الحضارية،اذ يعد المنهج النفسي للبناء الحضاري منهجا مهما لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، ويمكن استخدامه لتحفيز الإنسان على العمل والبناء.

الكلمات مفتاحية: منهج، نفس، بناء، حضارة، مقاصد.

Civilizational development through the psychological approach: A purposive perspective

Article Review

M.M. Hasnaa Khalaf Abdullah

University of Baghdad/ College of Islamic Sciences

Abstract:

This article discusses the psychological approach to civilizational development, a methodology that focuses on the psychological aspect of human beings in building civilization. It aims to build a civilization founded on strong values and ethics, achieving happiness and well–

being for humanity. This approach relies on understanding human psychology and acknowledging basic needs, such as the need for security and stability, and the need for appreciation and respect.

This article contributes to achieving the objectives of Islamic law, such as preserving religion and protecting life. It recommends the necessity of using the psychological approach to civilizational development in education, upbringing, and socialization to achieve civilizational goals. The psychological approach to civilizational development is considered an important methodology for achieving the objectives of Islamic law and can be used to motivate individuals to work and build.

Keywords: Methodology, Psychology, Development, Civilization, Objectives.

المقدمة:

المنهج النفسي للبناء الحضاري هو موضوع حيوي ومهم في عصرنا الحالي، حيث يسعى الإنسان إلى بناء حضارة تقوم على أسس قوية من القيم والأخلاق. يركز هذا المنهج على الجانب النفسي للإنسان، ويستخدم الأساليب النفسية لتحفيزه على العمل والبناء.

تكمن اشكالية المنهج النفسي للبناء الحضاري؟ اذ كيف يمكن استخدامه لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية؟ وما هي الأساليب النفسية التي يمكن استخدامها لتحفيز الإنسان على العمل والبناء؟

يهدف هذا المقال إلى استكشاف المنهج النفسي للبناء الحضاري، وكيفية استخدامه لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، كما يهدف إلى التعرف على الأساليب النفسية التي يمكن استخدامها لتحفيز الإنسان على العمل والبناء.

حيث تتجلى أهمية مقالنا هذا في كونه يسعى إلى تسليط الضوء على فهم المنهج النفسي للبناء الحضاري، وكيفية استخدامه لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، كما يساهم المقال في التعرف على الأساليب النفسية التي يمكن استخدامها لتحفيز الإنسان على العمل والبناء، مما يمكن أن يساعد في بناء حضارة قوية ومستدامة.

وتناولنا الموضوع من منظور شامل، مستعرضين المفاهيم والمقاصد المتعلقة به، والتحديات التي تواجهه.

اولا: البناء والحضارة لغة واصطلاحا

أ-البناء :((البناء : المبني ، والجمع أبنية ، وأبنيات جمع الجمع ، واستعمل البناء في السفن فقيل يصف لوحا يجعله أصحاب المراكب في بناء السفن : وانه أصل البناء فيما لا ينمى

كالحجر والطين ونحوه ،ويقال بنيةٌ ، وبُنى ، وبِنية ، وبِنى بكسر الباء كما يقال : جزية وجزى ومشية ومشى (ابن منظور،١٩٩٤،٥٢٢)، والذي يظهر مَن التعريف اللغوي أن المراد بالبناء هو التأسيس والتقويم ومنه البناء المادي والبناء المعنوي .

ب-الحضارة: بكسر الحاء وفتحها, مأخوذة من الحضر ,وهم سكان المراكز العمرانية , وهي ضد البداوة, يقال فلان من أهل البادية , وفلان مدني من أهل الحضر(الفراهيدي،١٩٨٨،١٠١)،وهي مجموعة من المظاهر الفكرية التي تسود المجتمع وهي بهذا المعنى تعني الثقافة, ومنهم من يرى أنَّها ما توصل اليه المجتمع في الفنون والعلوم والعمران ,وهي بهذا المعنى تعني الإنتاج المادي،وقال ابن خلدون: (هي نمط الحياة المستقرة في القرى والأمصار وبما يضفي على حياة أصحابه فنوناً منتظمة من العيش والعمل والأجتماع والعلم والصناعة)(ابن خلدون،١٩٩٠،٢٠٧).

اما احمد عبد الرزاق يقول: (مجموعة من المفاهيم الموجودة عند مجموعة من البشر ,وبما يتفق مع هذه المفاهيم من مثل وتقاليد وافكار ونظم وقوانين تعالج المشكلات المتعلقة بأفراد هذه المجموعة البشرية)(عبد الرزاق،١٩٩٥،٥).

ثانيا: مفهوم البناء الحضاري

يعد البناء الحضاري عملية بناء وتطوير المجتمع والحضارة على أسس قوية من القيم والأخلاق، وتحقيق السعادة والرفاهية للإنسان(عمارة،١٥،٢٠٠٥).

وعلي جمعة يعرفه بانه مجموعة من القيم والأخلاق والثقافة والاقتصاد والسياسة التي تشكل المجتمع والحضارة، وتساهم في تحقيق السعادة والرفاهية للإنسان(جمعة،٢٣،٢٠١٠)،في حين يرى العلواني بانها عملية بناء وتطوير المجتمع والحضارة على أسس قوية من القيم والأخلاق، وتحقيق السعادة والرفاهية للإنسان، مع الحفاظ على الهوية الثقافية والروحية للمجتمع(العلواني،٢٠٠٨،١٨).

اما المسيري يرى ان المفهوم هو مجموعة من القيم والأخلاق والثقافة والاقتصاد والسياسة التي تشكل المجتمع والحضارة، وتساهم في تحقيق السعادة والرفاهية للإنسان، مع الحفاظ على الهوية الثقافية والروحية للمجتمع(المسيري،٣٢،٢٠٠٣).

هذه التعريفات تشير إلى أن البناء الحضاري هو عملية بناء وتطوير المجتمع والحضارة على أسس قوية من القيم والأخلاق، وتحقيق السعادة والرفاهية للإنسان، مع الحفاظ على الهوية الثقافية والروحية للمجتمع.

ثالثاً: مقاصد **الشريعة وعلاقتها بالمشروع الحضاري الإسلامي**

إن الاهمية التي تحظى بها مقاصد الشريعة كونها تحفظ للناس حياتهم، هو الذي تستحق أن تكون ركائز للمشروع الحضاري، ثم انها تحمل اسرار التشريع الالهي والتي استنبطها العلماء

جعل بينها وبين الحضارة الإسلامية علاقة وثيقة من حيث انَّها عصارة افكار تعالج الازمات التي تحل بالناس وتعطي حلولا لها, لذلك سنتناول أهمية مقاصد الشريعة والعلاقة بينها وبين المشروع الحضاري.

اذ إنَّ لمقاصد الشريعة الإسلامية أهمية بالغة في حياة الناس عموما، وأن هذه الأهمية لا تقتصر على الجانب العملي والسلوكي للفرد والأسرة والمجتمع، بل على مستوى التفكير ومنهجيته، وتعطي للعقل المسلم آلية ترتيب الأمور على وفق الأولويات، وعلى كافة الاصعدة الأخلاقية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

وإذا كان الفكر المقاصدي له دوره في توجيه وضبط الفكر في النظرة الشمولية للحياة، فإن المقاصد تؤدي الدور نفسه في توجيه تصرفات وسلوك الناس بما يصلح حالهم ومآلهم، والذي يدلل على هذه الاهمية عبارة الشاطبي بحق مقاصد الشريعة عندما قال:المقاصد أرواح الأعمال(الشاطبي،١٩٩١،٤٥)، وهذا التشبيه بليغ، فكأن الأعمال الخالية من المقاصد كالأجساد الخالية من الأرواح, وتتجلى أهمية مقاصد الشريعة لعموم الناس، في الأمور التالية:

١- معرفة المقاصد تعطي للمسلم مناعة كافية، لاسيما في وقتنا الحاضر ضد الغزو الفكري والقصدي والتيارات المستوردة والمبادئ البراقة والدعوات الهدامة التي تستر أصحابها وراء دعايات كاذبة وشعارات خادعة، ويبذلون جهدهم لإخفاء محاسن الشريعة وإلصاق الشبه بها.

٢- مقاصد الشريعة جاءت لسعادة البشر وتحقيق مصالحهم ودرء المفاسد والمضار، فلاشك أن ذلك سيكون سببا في زوال الأوهام الشيطانية عنهم، وأن المسلم بمعرفته مقاصد الشريعة ينشرح صدره أكثر للأحكام الشرعية ولأنه يعلم أنها تحقق أسمى المقاصد والمصالح في الدنيا والآخرة.

٣- معرفة الحكمة والغاية من العبادات هو تحقيق مصالح الإنسان، وأن العبادات تعود منافعها على الإنسان في كل ركن من أركانها أو فرع من فروعها وهذا بدوره يدفع نحو التمسك بها وعدم التفريط بها , وكذا الامر بما له علاقة بالمعاملات من حيث جلب النفع ورفع المفاسد عنهم من الظلم والغش في العقود وتتجلى مصالح العباد في تحريم الخبائث وحمايتهم من كل أذى(ابن عاشور،١٢٥،٢٠٠٠).

رابعا: مقصد النفس ودورها في البناء الحضاري الإسلامي.

إن ركيزة النفس من الركائز المهمة في اقامة الحضارة الإسلامية، و لقد عنيت الشريعة الإسلامية عناية فائقة بحفظ النفس، فشرعت من الأحكام ما يجعل المصالح لها، ويدفع المفاسد عنها، لذلك وضعت الشريعة وسائل عدة للحفاظ عليها، منها:

١-تحريم الاعتداء عليها، قال تعالى في سورة النساء:((**ومَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**٩٣))، وفي تحريم الاعتداء على الانفس حفاظ عليها وجانب مهم من جوانب إقامتها, ولذلك نجد ابن عاشور قد توسع في مفهوم

الحفاظ على النفس، إذ قال: (حفظ الأرواح من التلف أفرادا وعموما؛ لأن العالم مركب من أفراد الإنسان، وليس المراد حفظها بالقصاص، كما مثّل لها الفقهاء، بل نجد القصاص هو أضعف أنواع حفظ النفوس، لأنه تدارك بعض الفوات، بل الحفظ أهمُّه حفظها من التلف قبل وقوعه، مثل مقاومة بعض الأمراض السارية، بينما عدَّ أبو زهرة من المحافظة على النفس هو منع الاعتداء على أي عضو من أعضاء الجسد عندما قال: (إنَّ المحافظة على الحياة العزيزة الكريمة يدخل فيها منع الاعتداء على النفس أو الأطراف أو أي جزء من أجزاء الجسم، ويدخل في المحافظة على السمعة والكرامة والابتعاد عن مواطن الإهانة، ومن المحافظة على النفس والمحافظة على الحرية الشخصية وحرية العمل وحرية الفكر والرأي والاعتقاد وحرية الإقامة والانتقال)(ابوزهرة،٥٧).

٢- سد الذرائع المؤدية إلى قتل النفس، لأن الاحتراز عن الدخول في المنافذ المؤدية للقتل هو أمر مهم في الحفاظ على النفس قال (صلى الله عليه وسلم): ((من حمل علينا السلاح فليس منا))(البخاري،٩/٤٩)، وقال (صلى الله عليه وسلم) أيضاً : ((سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر))(البخاري،١/١٩), إذ إن الالتزام بالأوامر النبوية التي تقضي بعدم جواز حمل السلاح بين المسلمين هو طريق من طرق الحفاظ على الانفس.

٣- تحريم بعض الاطعمة والاشربة التي في تناولها اضرار على الجسد بإتلافه او بإحداث خلل فيه يعطل بعض وظائفه ومنها قوله تعالى في سورة المائدة:((حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم[٣]))،إذ إن في كل تحريم في هذه الآية, هو حفاظ على الجسد من التلف، فالميتة وهي التي "فارقتها الروح من غير ذكاة مما يذبح " (القرطبي،٢٢٧),في تناولها خطراً على الجسد، لأن الجراثيم تبقى في دمها مما يسبب التسمم والاذى,أما المنخنقة وهي التي ماتت بحبس النفس فيها والموقوذة وهي التي رميت بحجر والمتردية وهي التي تتردى من العلو الى السفل فتموت والنطيحة وهي التي نطحتها شاة اخرى فماتت قبل ان تذكى، قد حرَّم الشرع تناولها لأن علة الميتة تتحقق فيها وان الدم يبقى محبوسا في العروق ويحدث التعفن بسبب الجراثيم التي تكون مع الدم, أما الدم الذي يسير في اوعية الجسد من شرايين واوردة فبمجرد ذبح الحيوان يصبح عرضة لانتشار الجراثيم فيه فاذا شرب الانسان الدم فهذا يعني انه شرب السموم والجراثيم مما يعود على الجسد بالضرر والهلاك, وأما لحم الخنزير فهو ينقل الامراض في صورتين: الصورة الأولى استقرار دودة في الامعاء الدقيقة

للإنسان تسمى الدودة الشريطية والتي قد يصل طولها ثمانية امتار , أما الصورة الثانية فانه تظهر اكياس في اماكن متعددة من جسم الانسان مما تسبب اوراما(الفوابي،٩٣).

٤ – ومن الحفاظ على النفس ما جاءت به الشريعة من الاحكام التي تحرم الانتحار وهو ازهاق الروح او قتل نفسه بوسيلة ما , لذا جاء التحريم بقوله تعالى في سورة النساء: ((يا أَيُّها الَّذين آمنوا لا تأْكُلوا أَموالَكُم بينكم بِالْباطل إِلا أَن تكُون تجارةً عن تراضٍ منْكُم ولا تقْتُلُوا أَنفُسكُم إِنَّ اللَّه كَان بِكُم رحيما٢٩))، وبقوله (صلى الله عليه واله وسلم): ((من قتل نفسه بحدي بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا))(مسلم،١/٧٢).

٥–ومن الحفاظ على النفس التحذير من ايذاء الوجه لقوله (صلى الله عليه واله وسلم): ((إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه))(مسلم،٨/٣١), قال النووي: (تصريح بالنهي عن ضرب الوجه لأنه لطيف يجمع المحاسن واعضاؤه نفيسة لطيفه واكثر الادراك بها فقد يبطلها ضرب الوجه)(النووي،١٦٥/١٦)، ومنها النهي عن ايلام الجسد دون وجه شرعي فالتعذيب ينعكس على جسد صاحبه مما يؤدي تشويهه وقد اوصى الإسلام بالرفق ونهى عن المثلة في القتال بقوله (صلى الله عليه واله وسلم):((...اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا...))"(مسلم،١٣٩/٥).

مما سبق يتضح لنا أن عناية الشرع في الحفاظ على النفس وتحريم الاعتداء عليها بأي شكل من أشكال الاعتداء والاذى إنما يعكس مدى أهمية الحفاظ على النفس وفي الوقت نفسه يعطي تصوراً عن أن الاعتداء على النفس هو يعني إرباك لأمن الناس وتهديد لحياتهم, وبالنتيجة هذا يعد من عوائق اقامة الحضارة الإسلامية .

لقد جاء الاسلام داعيا لعصمة النفس الإنسانية وأن حرمة كرامتها حق وواجب معا، وذلك لأن الحياة منحة إلهية أعطيت للإنسان ليقوم برسالته على ظهر الأرض، وليؤدي رسالته في الحياة إيمانا وعملا، ويتضح أثر الحفاظ على النفس في إقامة الحضارة الإسلامية بجانبها المادي من خلال الصور الاتية:

– لقد جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية نصوص عدة تدعو إلى حرمة الدماء، منها قال تعالى في سورة الاسراء: ((ولَا تَقْتُلُوا النَّفْس الَّتي حرَّم اللَّه إِلا بِالْحق ومن قُتل مظْلُوما فَقَد جعلْنا لوليِّه سُلْطَانًا فَلَا يسرف في الْقَتْل إِنَّه كَان منْصورا٣٣)) ، ومنها قوله(صلى الله عليه واله وسلَم): ((... إن دماءكَم وأموالَكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة ...)) (مسلم،٤/٤١), وقوله (صلى الله عليه واله وسلم) : ((من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده

يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا))،وهذه أوامر تزرع في نفوس سامعيها الخوف من عاقبة التعدي على أرواح الاخرين وهي دعوة للحفاظ على ركيزة مهمة من ركائز الأمن الاجتماعي.

– تحريم قتل الغير والاعتداء عليه، وإنزال العقوبة على المعتدي يكون ذلك زجرا له ولغيره من الاعتداء، وبذلك يسود الأمن والاستقرار ويحيا الناس حياة آمنة مطمئنة.

– كفاية النفس مما يحتاجه الجسد من طعام وشراب، والأخذ بالرخص للمضطر، واللباس والمسكن والوقاية من الأمراض السارية، وكذلك المخاطر التي تودي بالنفس، كالحريق والغرق والتسمم وحوادث السيارات والآلات الكهربائية، والإشعاعات بأنواعها المختلفة ، كل ذلك يحتاجه الإنسان، ويوفر له الحياة الآمنة المستقرة، يأمن فيها الفرد والجماعة على ما به قوام حياتهم المادية.

– الحرية الشخصية والكرامة للإنسان، تحقيق لمعنى التكريم الذي اختص الله به الإنسان، تمييزا له عن الحيوان، وقد يرى اعتبار الحرية مقصدا حاجيا لحفظ النفس والكرامة مقصدا تحسينيا لحفظ النفس(الدارني،٢٠٠٦،٢١٣).

ووفقا لما سبق نستنتج ان البناء الحضاري يتطلب منهجا نفسيا يأخذ بعين الاعتبار الجوانب النفسية والروحية للإنسان، وان مقاصد الشريعة هي الأساس للبناء الحضاري، وتوفر الإطار العام للعمل والبناء.

وختاماً يسهم هذا المقال في تسليط الضوء على أهمية فهم النفس الإنسانية وطبيعتها لكي نستطيع بناء حضارة قوية ومستدامة،و التوازن بين الجوانب المادية والروحية ضروري، ولا يمكن إهمال أي جانب من الجانبين.